الطوائف النصرانيَّة ثم زعم بعض الجهَّال انَّهُ نور سماويّ ووجد اهل الطامع في هـذا الاعتقاد ربحاً فأجروا الرتبة سرًّا. وقد اثبت السيّد الاستف الارثدكسيّ رفائيل هواويني في مجلة الكلمة (٤ : ٣٨٤ و ٤٠٤ و ٤٧٨) ثلث مقالات في هـذا الصدد وختم قوله بانَّ ليس ثَمَّ اعجوبة بل ذلك احتفال كنسيّ ورمز فقط يُشار بهِ الى نور الايمان وقد اقترح (ص ٤٩٦) على الاكليروس الاورشليميّ بان يجروا بعض التغيير والتبديل في طريقة اتمام تلك الرتبة لئلَّا يُخدع بها السذَّج فقال ما حرفه :

ان هذا ممكن بل ضروري ايضاً وذلك بان يُلغى منهـا امر خلع البطريرك ملابسه الحبريَّة ودخوله وحدهُ الى داخل القبر المقدس واقفال الباب وراءهُ ولاسيَّما امر اختلائهِ ضمن القبر مدة غير معلومة من الزمان قد تطول في بعض السنين ثُلث ساعة او اكثر. فان جميع هذه الامور مما يوهم للناظرين كون البطريرك انما دخل الى القبر كي « يأتي بمعجزة » نُنزل « كاليليا النبي » ناراً من السماء على فتد الشمع الذي بيدهِ. فبدلًا اذن من هـذه كلّها نرى ان الأولى لدى الله والناس ان يدخل البطريرك الى القبر بملابسه الحبريَّة بدون تاج ولا عكَّاز وبدون ان تُغلَق ابواب القبر وراءهُ وبعد ان يسجد ويصلّي امام السيّد ينير فتد الشمع من نور القنديل المقدس ويخرج حالًا الى امام الشعب ويهتف نحوهم قائلًا: « هلمُّوا خذوا نوراً مقدساً من القبر المقدس » فيتقدم الاساقفة فبقيَّة الاكليروس بحسب درجاتهم ويشعلون شموعهم ثم هؤلاء يشعلون شموع الشعب بكل ترتيب ونظام ووقار واحترام »

فنعم القول وباليتهُ يجري قريباً بالعمل ليزول شكوك البعض في انَّ الاكليروس الارثدكسيّ بعمله يوهم الناس بانَّ هناك معجزةً حيث لا معجزة البتَّة

(البقيَّة لعدد آخر)

الأَبدال

لحضرة الاب انستاس الكرملي

قد تكرَّر اسم الأبدال في كتب العرب وعلى الأخصّ في كتب الحديث واهل الطريقة من الصوفيين وغيرهم فاحببنا ان نفرد لذكرهم فصلًا نجمع فيهِ ما كتبهُ العرب في شأنهم مع نقد كلامهم

١ تعريف الأبدال

ما الأبدال ؟ احسن تعريف جواباً على هـذا السؤال هو اقدمهُ عهداً. قال ابن الاثير في النهـاية: « [ورد] في حديث عليّ رضه : الابدال بالشام هم الاولياء والعُبَّاد . هذا هو احسن واقدم واصـدق ما جاء عن هؤلاء الناس. وما مضت برهة حتى جاء اللغويون واصحـاب الاشتقاق والتفريع والتفريق فاخترعوا التعاريف وفسَّروا الاحاديث تفاسير غريبة وأوَّلوهـا تآويل جاءت كالتهاويل. فافترقت الآراء فرقاً في هؤلاء الصلحاء. ويا ليت لو قنعوا بما جاء في الحديث وبما اولَّهُ اثبت الايمـة قدماً في الوقوف على علوم العرب اعني بهِ الامام عليّ بن ابي طالب لكان بذلك غنًى عن تباين الآراء وتعدُّد الاقوال. فلقد زاد صاحب النهاية نفسهُ على كلام امير المسلمين ما نصُّـهُ: « الواحد بدلٌ كحِمْل واحمال. وبَدَلٌ كجَمَل وأجمال. سُمُّوا بذلك لانهم كلما مات واحدٌ منهم أُبدِلَ بآخر » اه

ففي هذا الكلام نظران اولاً قولهُ: « الواحدُ بدْل كحِمْل وأحمال وبَدَل كجَمَل وأجمال. ولم يذكر غير هذين المفرَدَين . ففي هذا الاقتصار تقصيرٌ ونقصٌ وإخلال. فالذي عليهِ اغلب مشاهير جماهير اللغويين واصحاب الحديث واخبار الانبياء والاولياء والسير النبويَّة ان مفرد الأبدال بَديل مثل شريف واشراف. وإنْ ذهبوا الى انهُ قد يكون مفردُهُ ايضاً وزان حِمْل وجَمَل فهذا لا يمنع ذاك. ومن جملة ادلَّتهم على قولهم هذا الذي ظهر انهُ الاصح مجيءُ البُدَلاء جمعاً بمعنى الأبدال فيكون ابدًا من قبيـل شريف وأشراف وشرفاء. وفي دواوين اللغة امثلة لا تحصى من هذا الوزان وجمعهِ

هذا ولا تتصور ان ابن الاثير هو اول من ذهب الى هذا الرأي. فقد سبقهُ اليهِ غير واحد. فعلى مجراهُ يجري صاحب القاموس وتاج العروس ولسـان العرب والصحاح وابن دُرَيد وابن السكيت وغيرهم. امَّا الآخرون فلم يزيدوا شيئاً على مـا جاء في كلام الاقدمين ومن هؤلاء الطيبيُّ في شرح المشكاة: « الأبدال بالشـام. والنجباء بمصر والعصائب بالعراق (١ : وهم الاولياء والعُبَّاد » اه وكذلك سكت عن اصـل

---

(١) وفي التاج: روى ابن شميل بسندهِ حديثاً عن عليّ كرَّم الله وجههُ انهُ قال: «الأبدال بالشام. والنُجَباء بمصر. والعصائب بالعراق ». اه

اشتقاق هذه اللفظة من مشهور معنى مادّة الـ « بدل » ابن شميل والزمخشري (١ وغيرهما حاذين في ذلك حذو عليّ بن ابي طالب

واما النظر الثاني في كلام ابن الاثير فهو في قوله : « سُمُّوا بذلك لانهم كلّما مات واحدٌ منهم أُبدِلَ بآخر (٢ » . فهذا كلام محمول على ظاهر لفظ الابدال دون حقيقته فلا يشفي غليلاً . والدليل ان جميع اصحاب الاخبار لم يتفقوا على عددهم كما ستراهُ دُوَيْنَ هذا وفي محلّه . فلا بُدَّ من وجود وجه آخر لتخصيص هؤلاء الاقوام الفضلاء بهذه التسمية وتمييزهم بها عمّن سواهم

٢ معنى لفظة الأبدال

أصحُّ رأيٍ عندنا ان الأبدال جمع بديل . وبديل هذه من مادةٍ مفقود معناها في العربيّة بهذه الحروف الثلاثة « ب د ل » وموجود في سائر اخوات لغتنا هذه الشريفة . وهي فيهنّ بمعنى انقطع وبان واعتزل الناس من (٦٦٦) فيكون معنى البديل : المنقطع (عن الدنيا الى عبادة الله) والبائن (عن الناس) والمعتزل (اياهم) والمنفرد (عنهم إرضاءً لوجهه الكريم) فحينئذٍ « وحينئذٍ لا غير » يكون البدلاء بمعنى الاولياء والعباد والصلحاء والنسّاك الى ما يضاهي هذه المعاني

واذا كانت مادة « ب د ل » مفقودة بهذا المعنى في لغتنا فهي موجودة فيها ببعض ابدالها بصورة « ب ت ل » ومنهُ البَتْل : القَطْع . وتبتّل الى الله : انقطع اليه وانفرد لهُ في طاعته وافرادها لهُ . وفي اللسان : التبتُّل الانقطاع عن الدنيا الى الله تعالى . وكذلك

---

١) في اساس البلاغة : « وهو من الابدال اي من الزُهّاد » . ولم يزد على القدر

٢) وفي سفينة الراغب (ص ١٠٧) : « قال الشيخ (نصير بن الفتح) انما سُمُّوا أبدالاً لانّهم بدل من الانبياء والصدّيقين والشهداء الذين هم اصحاب رسول الله صلعم من المهاجرين السابقين الاوّلين والانصار في ان يصرف الله بهم العذاب عن اهل الارض بمياتهم » . انتهى المُراد من ايراده

وفي كتاب المستقد لليافعي : « انما سُمّي الابدال ابدالاً لانّهم اذا غابوا تُبْدَلُ في مكانهم صورٌ روحانية تقائمهم » . وبنى على ذلك ما حُكي عن الشيخ مفرج الدمامل انهُ رآهُ بعض اصحابه يوم عَرَفَة بعرَفة ورآهُ آخر في مكانٍ من زاويته بدمامل . الى آخر الحكاية

التبتيل يقال للعابد اذا ترك كل شيء واقبل على العبادة : قد تبتّل اي قطع كل شيء الّا امرَ الله وطاعتهُ . وقال ابو اسحاق: وتبتّل اليه اي انقطع اليه في العبادة » اه عن التاج وغيرهِ

ولا نعلم كيف قُيّد معنى مادّة « ب د ل » وبقي كلُّهُ محصوراً في « ب ت ل » الّا ان يكون من آثار لغة بعضهم . وتلك اللغة كانت شائعة ذائعة عند كثيرين منهم يبدلون فيها الدال من التاء (راجع مقالاتنا اللغوية في المشرق في مواضع شتى منهُ) . والّا لا يُفهَم هذا الابدال الغريب المخالف لاوضاع سائر ما جاء في اللغات الاخوات

او لعلّهم فعلوا ذلك حينما اماتوا لفظة « بتيل » فخصّوا تلك بالاناث وهذه بالذكور وان لم تكن هذه بمعنى الاوّل بجميع دقائق معناها . والدليل على قولنا هذا ان كلمة « بتيل » ومثلها : « بتول » وهي الثيّب و « بتيلة » لم تجيء في كلام العرب الفصحاء الاقدمين منهم الّا للمؤنث (١

واما اذا ارادوا ان يصفوا الرجل بالتبتّل اتخذوا لفظة أخرى وقالوا : « الحَصُور » ومنهُ قولهم : « يوحنا الحصور » كما نسميه نحن النصارى « يوحنا المعمدان » او قالوا : « الصَّرُور » وفيها لغات وهي : « صَرُورة بالهاء [وان كانت للمذكر] . وصَرارة كسحابة وصارورة كقارورة وصارور بغير هاء . وصَروريّ وصارورِيّ وكلاهما بياء النسب [وان ليس في المعنى نسبة] . وصارُورا . كعاشورا . والمشهور من كل ذلك : صَرُور وصَرُورة . وفي الحديث : « لا صَرورة في الاسلام » فسّرهُ ابو عُبَيد بانهُ التبتّل وترك النكاح فجلهُ اسماً للحدث يقول : « ليس ينبغي لاحد ان يقول لا اتزوّج . يقول : ليس هذا من

---

١) واما المتأخرون ولاسيما نحن النصارى فقد استعملناها ايضاً للذكر . فقد سمّينا مثلاً يوحنا الحبيب : « يوحنا البتول » ايضاً . وهو مناف لاستعمال العرب . لانهم قد يحصرون وزناً او صيغةً بمعنًى من المعاني فلا يوردون يتجاوزونهُ . وان كان القياس يجيزهُ ويُبيحهُ ولهذا قالوا في هذا الصدد : « ما كلُّ ما يُقاس يُقال » لان القياسيَّ قسمان : قياسي مطّرد وقياسي سماعي . وليس هنا محل ذكرهما . ومن القياسي السماعي وزنا فعيل وفعول . ومنهما هذان المرفان بَتِيل و بَتول . والسماع حجة على من لا يحفظ حجة كما صرّح به صاحب التاج في عدّة مواطن من كتابهِ . وفي القياسيات السماعية صيغة المبالغة وافعل التفضيل وغيرهما . وهذا الامر مشهور عندهم وقد عقد لهُ النحاة اللغويون ابواباً مذكورة في كتبهم فاطلبها في مظانّها تُصِبْ ان شاء الله تعالى

أخلاق المسلمين وهذا فعل الرهبان. وهو معروف في كلام العرب ومنهُ قول النابغة:

لو انَّها عرضت لاشمط راهب عبد الإله صَرورة متعبِّد

يعني الراهب الذي قد ترك النساء...» اه عن التاج

٣ مرادفات الابدال ومحل وجودهم

جاء في «كتاب الخبر الدال على وجود القُطب والأوتاد والنجباء والأبدال» لجلال الدين السيوطي (ومنهُ نسخة خطيَّة في خزانة كتب الملك الظاهر في دمشق الشام) ص ٧ «ان عليّ بن ابي طالب قال: الابدال من الشام. والنُجَباء من اهل مصر. والاخيار من اهل العراق». وقال في ص ٨ نحو الآخر: «عن النبي صلعم قال: لن دعامة أُمتي عُصَبُ اليمن. وابدال الشام». وقال في ص ١٨: «مسكن النقباء المغرب. ومسكن النجباء مصر. ومسكن الأبدال الشام. والأخيار سيَّاحون في الارض. والعَمَد في زوايا الارض. ومسكن الغَوث مكة» اه

وفي مجموعة رسائل ابن عابدين (ج ٢ ص ٢٧٠ من طبعة الاستانة) ما يُقارب هذا الكلام. وكذلك في سائر الرسائل التي ورد فيها ذكر الأبدال يُضاف اليها ما اثبتنا في المشرق (١١: ٨٩١) سابقاً فليُراجع

٤ عدد الأبدال

لم تتَّفق اقوال النقلة والمحدثين والكتبة في عدد الابدال فقد قال السيوطي في الخبر الدال (ص ٧ من نسخة المكتبة الظاهريَّة) بعد ايراد اسماء اصحاب الاسانيد الواحد بعد الآخر: «البُدَلاء اربعون رجلًا. اثنان وعشرون بالشام. وثمانية عشر بالعراق. كلَّما مات منهم واحد ابدل الله مكانهُ آخر. فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة». ثم نقل حديثًا آخر (ص ٨) وعَنْعَنَهُ حتى ارصلهُ الى صاحب الشريعة فقال: «قال رسول الله صلعم: الأبدال اربعون رجلًا واربعون امرأة. اخرجهُ الديلمي في مسند الفردوس. ونقل حديثًا ثالثًا اوردهُ (ص ٩) فقال: «الابدال بالشام وهم ثلاثون رجلًا على منهاج ابرهيم كلَّما مات رجل ابدل الله مكانهُ آخر. والعُصَب [جمع

عُصْبَة] بالعراق اربعون رجلاً كلما مات رجل ابدل الله مكانهُ آخر. عشرون منهم على اجتهـاد عيسى بن مريم وعشرون منهم قد أُوتوا مزامير آل داود . حديث عبادة بن الصامت ». ثم جاء (في ص ١٠) بحديث رابع فقال: « قال رسول الله صلعم: الابدال في أُمتي ثلاثون بهم تقوم الارض وبهم تُمطَرُون وبهم تُنصرون » اه. وقال (في ص ١٢): قال رسول الله صلعم: ان لله عزَّ وجلَّ في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عم. ولله في الخلق اربعون قلوبهم على قلب موسى عم. ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب ابرهيم عم. ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عم. ولله في الخلق واحد قلبهُ على قلب اسرافيل. فاذا مات الواحد ابدل الله من الثلاثة. واذا مات من الثلاثة ابدل الله مكانهُ الخمسة . واذا مات من الخمسة ابدل الله مكانهُ من السبعة. واذا مات من السبعة ابدل الله مكانهُ من الاربعين. واذا مات من الاربعين ابدل الله مكانهُ من الثلاثمائة. واذا مات من الثلاثمائة ابدل الله مكانهُ من العامة. فبهم يُحيي ويُميت. ويُمطِرُ ويُنبت. ويدفع البلاء. قيل لعبد الله بن مسعود: كيف بهم يُحيي ويُميت؟ قال: لانهم يسألون الله إكثار الأُمم فيكثرون. ويدعون على الجبابرة فيُقصَمون. ويَستَسقون فيُسقَون. ويسألون فتنبت لهم الارض. ويدعون فيرفع بهم انواع البلاء . اخرجهُ ابن عساكر » اه

وقال (في ص ١٧): « أثر عن الحسن : اخرج ابن عساكر عن الحسن البصري قال: لن تخلو الارض من سبعين صدّيقاً وهم الابدال. لا يهلك منهم رجل الّا اخلف مكانهُ مثلهُ. اربعون بالشام. وثلاثون من سائر الارض » اه

وقال في تلك الصفحة: « أثر عن قتادة: اخرج ابن عساكر عن قتادة قال: لن تخلو الارض من اربعين بهم يثبات الناس وبهم يُنصرون وبهم يُرزَقُون - كلّما مات منهم احد ابدل الله مكانهُ رجلاً. قال قتادة: والله اني لارجو ان يكون الحسن منهم » اه

وقال: « أثر عن شهر: اخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال: لم تَبقَ الّا وفيها اربعة عشر يدفع الله بهم عن اهل الارض ويخرج بركتها الّا زَمَنَ ابرهيم كان وحدهُ » اه

وقال: « أثر عن ابي الزاهرية ومن بعده (ص ١٨): اخرج ابن عساكر عن ابي

الزاهرية قال: الابدال ثلاثون رجلًا بالشام. بهم تُجارُون. وبهم تُرزَقون. اذا مات منهم رجل ابدل الله مكانهُ. واخرج عن الفضل بن فُضالة قال: الابدال بالشام: في حمص خمسة وعشرون رجلًا. وفي دمشق ثلاثة عشر. وبيسان اثنان [فيكون عددهم على هذا القول اربعين]. واخرج عن ابن يحيى الحشني قال: بدمشق سبعة عشر نفساً وبيسان اربعة. [= ٢١]. واخرج ابن ابي خشمة وابن عساكر عن ابن شودب قال: الأبدال سبعون فستُّون بالشام وعشرة بساتر الارض. واخرجا من طريق عثمان بن عطاء عن ابيهِ قال: الابدال اربعون انسانًا. قلتُ لهُ: اربعون رجلًا؟ — قال: لا تقل اربعون رجلًا. ولكن قُلْ: اربعون. ولعلَّ فيهم نساء. واخرج ابن عساكر من طريق احمد بن ابي الحواريّ قال: سمعتُ ابا سليمان يقول: الأبدال بالشام. والنجباء بمصر. والعُصَبُ باليمن. والاخيار بالعراق. واخرج هو والخطيب من طريق عبد الله بن محمّد العبسي قال: سمعت الكتّانيَّ يقول: النقباء ثلاثمائة. والنجباء سبعون. والبدلاء اربعون. والاخيار سبعة. والعمد اربعة. والغوث واحد. فمكن النقباء المغرب. ومكن النجباء مصر. ومكن الابدال الشام. والاخيار سيّاحون في الارض. والعمد في زوايا الارض. ومكن الغوث: مكة. فاذا عرضت الحاجة من امر العامة ابتهل فيها النقباء. ثم النجباء. ثم الابدال. ثم الاخيار. ثم العمد. فان أُجيبوا والّا ابتهل الغوث فلا تتمّ مسئلةٌ حتى تُجابُ » اه

واذا اردنا ان نتتبّع سائر الاقوال فهذا يطول بنا. وقد اجتزأنا بما ذكرنا إشارة الى ان الاقوال في عدد الابدال ممّا لم يتّفق عليهِ اهل النقل والتحقيق. وبذلك كفاية. على اننا لا يجوز لنا ان نجوز هذا الباب ما لم نذكر حديثًا يتقلّدهُ اغلب اصحاب الطرائق والمحدّثين وهو هذا نقلًا عن السيوطي في الكتاب المذكور (ص ١٩ — ٢٠): «... عن ابي عمر النصيبي قال: خرجت اطلب مسئلةً من مصقلة بالشام [مصقلة باسم : زاهد] وكان يقال انهُ من الابدال. فلقيتهُ بوادي الاردن فقال لي: ألا اخبرك بشيء رأيتهُ اليوم في هذا الوادي؟ فقلتُ: بلى. قال: دخلتُ فاذا انا بشيخ يُصلّي الى شجرة. فألقيَ في رَوْعي انهُ الياس. فدنوت منهُ فسلّمت عليهِ فردَّ عليَّ. فقلتُ: من انت يرحمك الله؟ قال: انا الياس النبي. قلت: يا نبيَّ الله هل في الارض اليوم من الابدال احدٌ. قال:

نعم هم ستّون رجلًا : منهم خمسون فيما بين العريش الى الفرات . ومنهم ثلاثة بالمصيصة . وواحد بانطاكية . وسائر العشرة في سائر امصار العرب » اه

٥ الابدال الاقدمون والابدال المسلمون

الابدال على ما يتبيّن من كلام المسلمين طائفتان : طائفة كانت قبل الاسلام . وطائفة بعد الاسلام . امّا انهُ وُجد ابدال قبل الاسلام فهذا ممّا لا ينكرهُ احدٌ من علماء المسلمين . ومن الادلّة على هذه الحقيقة :

١ انهم يعتبرون الخليل البديل الوحيد في عهدهِ الى آخر تلك الاقوال فراجعها في كتاب الخبر الدالّ للسيوطيّ (١

٢ ان نبيّ المسلمين ذكر الابدال وان منهم من في ديار الشام ومنهم في مصر وجماعة في العراق وطائفة في بلاد العرب مع انهُ لم يكن يومئذٍ الاسلام منتشرًا في تلك الربوع والآفاق فوجب اذًا وجودهم قبل ذلك العهد . وهذا ممّا لا يُمارَى فيهِ

واما وجودهم بعد الاسلام فيتّضح ممّا نقلهُ المحدّثون في كتبهم . فقد جاء في الحديث نقلًا عن ابن ابي الدنيا في كتاب السخاء : « حدّثنا اسماعيل بن ابرهيم بن بسّام : حدّثنا صالح المرّيّ عن الحسن : ان رسول الله صلعم قال : ان بدلاء أُمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاتهم ولا صيامهم ولكن دخلوها بسلامة صدورهم وسخاوة انفسهم » . اه

---

١) واجتماع لفظة الابدال مع كلمة الياس كثير الورود في كُتُب المسلمين ممّا يدل قدم هذا الرأي وان الخضر الياس واحد . فممّن ذكر ذلك غير السيوطيّ جماعة المتصوّفة وطائفة من كتبة التاريخ المحقّقين منهم مثلًا الزرقانيّ فقد قال في كلامهِ عن الياس النبي : « ورُوي (اي عن نبيّ المسلمين) ان الابدال يجتمعون بهِ (اي بالياس) » (راجع المشرق ١١ : ٨٦) . وجاء في كتاب خطّي محفوظ في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت في الورقة الثالثة والخمسين في الفصل الثامن والعشرين في كلام المؤلف عن الانبياء : « . . . وذلك قولهُ تعالى في القرآن : ان اسمعيل واليسع وذا الكفل كلٌّ من الاخيار » وقد بيّن في أثناء كلامهِ ان المراد بالاخيار ما ذكرناهُ سابقًا عن السيوطيّ اي الابدال . وفي كتاب العرائس للثعلبي : « قلتُ (اي الراوي الذي رأى الياس النبي في الاردن على ما رواهُ الثعلبي) : كم الأبدال ؟ قال : ستّون . . . اه فانّنا نرى من هذا الكلام ان الرجل يسأل النبي عن الابدال سؤالًا يدل على ان للياس نسبةً تُذكر مع الابدال اذ قد وجدنا ان حيثما يُذكر الابدال يُذكر ايضًا الياس والخضر وبالعكس ايضًا

وهذا كلام يُشعر بان البدلاء غير المسلمين يدخلون الجنة بكثرة صلاتهم وصيامهم وانهم مشهورون بهاتين المزيتين

« وعن ابي هريرة قال : دخلتُ على النبيّ صلعم فقال لي : يا ابا هريرة . يدخل عليّ من هذا الباب الساعة رجلٌ من احد السبعة الذين يدفع الله عن اهل الارض بهم . فاذا حَبشيٌّ قد طلع من ذلك الباب أقرع اجدع على راسه جرّة من ماء . فقال رسول الله صلعم : يا أبا هريرة : هو هذا . وقال رسول الله صلعم ثلاث مرّات : « مرحباً بيسار » وكان يرشّ المسجد ويكنسهُ . [وكان] غلاماً للمغيرة بن شعبة » . اه نقلهُ بحرفهِ عن كتاب الخبر الدالّ (ص ١٥)

وقال الطبراني في « الاوسط » : « عن انس . قال رسول الله صلعم : لن تخلو الارض من اربعين رجلًا مثل خليل الرحمان فبهم تُسقَون وبهم تُنصرون . ما مات منهم احدٌ الّا ابدل الله مكانهُ آخر . قال عبادة : لسنا نشكُّ ان الحسن منهم » اه (يريد بالحسن الحسن بن عليّ بن ابي طالب)

« وعن ابن منبه قال : رأيتُ رسول الله صلعم في المنام . فقلتُ لهُ : يا رسول الله ابن بُدلاء امّتك ؟ فأومأ بيده نحو الشام . قلتُ : يا رسول الله أما بالعراق منهم احدٌ ؟ قال : بَلَى . محمّد بن واسع وحسّان بن ابي سنان . ومالك بن دينار . والذي يمشي في الناس بمثل زُهد ابي ذرّ في زمانهِ » . اه عن الخبر الدال (ص ٢٢) بحرفهِ

وفي كفاية المتقد لليافعي (ص ٢٣) : « عن بعض اصحاب الشيخ عبد القادر رضه قال : خرج الشيخ عبد القادر من دارهِ ليلةً فناولتهُ إبريقًا فلم يأخذهُ . وقصد باب المدرسة فانفتح لهُ الباب فخرج وخرجتُ معهُ . ثم عاد الباب مُغلقًا . ومشى غير بعيد فاذا نحن في بلدٍ لا اعرفهُ . فدخل فيهِ مكانًا شبيهًا بالرباط . واذا فيهِ ستّة نفر . فبادروا الى السلام عليهِ والتجأتُ الى ساريةٍ هناك وسمعتُ من جانب ذلك المكان أنينًا . فلم يلبث الّا يسيرًا حتى سكن الأنين . ودخل رجل وذهب الى الجهة التي سمعت منها الأنين . ثم خرج يحمل شخصًا على عاتقهِ . ودخل آخر مكشوف الرأس طويل الشارب وجلس بين يدي الشيخ فأخذ عليهِ الشيخ الشهادتين وقصّ شعر رأسهِ وشاربهِ وألبسهُ طاقيّةً وسمّاهُ « محمّدًا » . وقال لاولئك النفر : قد امرتُ ان يكون هذا بدلًا عن الميت . قالوا : سمعًا وطاعةً . ثم خرج الشيخ وتركهم . وخرجتُ خلفهُ ومشينا غير بعيد

فاذا نحن عند باب بغداد . فانفتح كاوّل مرّة . ثم اتى المدرسة فانفتح لهُ بابها ودخل دارهُ فلمّا كان الغدّ اقسمت عليهِ ان يبين لي ما رأيتهُ . قال : امّا البلد فتهاوَنْد . واما السّتّة فهم الأبدال . وصاحب الأنين سابعهم كان مريضاً . فلمّا حضرت وفاتهُ جئت احضرهُ . ولما الرجل الذي خرج يحمل شخصاً فابو العبّاس الخضر عليهِ السلام ذهب بهِ ليتولّى امرهُ . واما الرجل الذي اخذت عليهِ الشهادتين فرجل من اهل القسطنطينيّة كان نصرانيًا وامرتُ ان يكون بدلًا عن المتوفّى فأُتي بهِ فأسلم على يديّ وهو الآن منهم » اه بحروفهِ

ومثل هذه الحكايات كثيرٍ في كتبهم من تحويل الالفاظ عن اصل وَضعها ونقلها الى اوضاع أُخرى حديثة . فمن كان يظنُّ ان المراد بالخضر ابو العباس ؟ . ومع ذلك فالنص واضح لا إشكال ولا وهم في قراءتهِ (١

٦ صفات الابدال المسلمين

قال سهل بن عبد الله : « صارت الابدال ابدالًا باربعةٍ : قلّة الكلام . وقلّة الطعام . وقلّة المنام . واعتزال الانام » . واخرج ابو نعيم في الحليّة عن بشر بن الحارث انهُ سئل عن التوكّل فقال : « اضطرابٌ بلا سكون : رجل يضطرب وقلبهُ ساكن الى الله لا الى عملهِ . وسكون بلا اضطراب : رجل ساكن الى الله بلا حركة وهو عزيز وهو من صفات الأبدال » اه

وأخرج (ابو نعيم المذكور) عن معروف الكرخي قال : « من قال كل يوم عشر

---

(١) وقد عرّف الصوفيّة الابدال غير ما عرّفهم الاقدمون من الحفّاظ والمحدّثين والرواة فقد نقل السيّد الجرجاني عن كتبهم ما هذا حرفهُ : « البدلاء هم سبعة رجال مَنْ سافر من موضع وترك جسدًا على صورتهِ حيًّا بحياتهِ ظاهرًا باعمال اصلهِ بحيث لا يَعْرِفُ احدٌ انهُ فُقد . وذلك هو البدل لا غير وهو في تلبّسهِ بالاجساد والصُوَر على صورتهِ على ابرهيم تم » . اه وقد عرّفهم محيي الدين بن العربي ما يشبهُ هذا التعريف . ولفظة الابدال يعرفها اليوم مسلمو بلاد فارس والهند وتركستان . وهؤلاء كلهم يجعلون مفردها تمام الجمل . فيسمون الواحد « أبدالًا » كما يسمون الجماعة منهم « أبدالًا » ايضاً . وصوفيّة فارس يسمّون الابدال باسم فارسي آخر وهو « ديوانه خُدًا » اي : « مجنون الله » ويطلقونهُ على كل مجذوبٍ من اولئك المجاذيب الذين يجولون الطُرُق بالعري التام . والترك يزيدون على ما تقدّم ذكرهُ من الالفاظ كلمتين وهما : « آتا » و « طورلاق »

مرات: « اللهمَّ اصلح امة محمد. اللهمَّ فرّج عن امة محمد. اللهمَّ ارحم امة محمّد » كُتب من الابدال. واخرج عن ابي عبد الله البناجيّ قال: ان أحببتم ان تكونوا ابدالًا فأحبُّوا ما شاء الله. ومن احبَّ ما شاء الله لم يتزل به من مقادير الله شيء الّا احبَّهُ » اه

وفي كتاب سُنن الصوفيَّة في حديث سلسلهُ الى صاحب الشريعة الاسلامية قال: « قال رسول الله صلعم: ثلاثٌ من كنَّ فيهِ فهو من الأبدال الذين بهم قوامُ الدُنيا واصلُها الرضى بالقضاء. والصبر عن محارم الله. والغضب في ذات الله ». اه

فالأبدال على هذين القولين الاخيرين كثيرون لا يُعدُّون ولا يُحصَوْن

وقال ابن ابي الدنيا: « لمَّا ذهبت النبوة وكانوا « اوتاد الارض » اخلف الله مكانهم اربعين رجلًا من امة محمّد صلعم يقال لهم الأبدال. لا يموت الرجل منهم حتى يُنشئ الله مكانهُ آخر يخلفهُ. وهم اوتاد الارض. قلوب ثلاثين منهم على مثل يقين ابرهيم لم يفضلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام ولا بحسن التخشُّع ولا بحسن الحلية. ولكن بصدق الورع وحسن النيَّة وسلامة القلوب والنصيحة لجميع المسلمين ابتغاء مرضاة الله بصبر وجبر ولبّ حليم وتواضع في غير مذلّة. لا يلعنون احدًا ولا يؤذون احدًا. ولا يتطاولون على من كان تحتهم. ولا يحقرونهُ ولا يحسدون احدًا فوقهم. ليسوا بمتخشعين ولا متماوتين ولا معجبين. لا يُحبُّون لدنيا ولا يُحبَّون لدنيا. ليسوا اليوم في وحشة وغدًا في غفلة » اه

خلاصة القول

يظهر ممَّا سبق من الشواهد والاقوال المتباينة انَّ الابدال قومٌ من الصالحين الزهّاد في العالم سبق عهدهم الاسلام بزمن طويل حتى زمن بني اسرائيل ثم تتابعوا الى زمن الاسلام. وقد تبعوا الانبياء في اجتهادهم وزهدهم لاسيما النبي ايلياس. ومنهم من كانوا على طريقة السيّد المسيح وهم عندنا النسّاك والرهبان الذين عرفهم العرب حقّ المعرفة وكثيرًا ما ذكروهم في اشعارهم واخبارهم